



تأملات في الفصحى :

نبئيني غداً بما تسمعون للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لست أدري لماذا يجب أن تسمع موديس شفالبيه وهو
بغنى بالإنجليزية ، مع أنه إذا غنى بالفرنسية كان أبداع
— من غير شك يكون أبداع ، ولكني أعممه بغنى بالإنجليزية
لكي أضحك لالكي أطرب ؛ فهو ينطق بالإنجليزية ولكنه فرنسية
فزيد هذا الشذوذ تهريجه حلاوة وخفة
— وهل موديس شفالبيه مهرج ؟
— وأي شيء هو غير هذا ؟ إنما هو مستساخ ومحبوب لأن
تهريجه في طبعه ، فلو لم يكن شفالبيه مهرجاً محترفاً يربح من
تهريجه المال الوفير ، لكان مهرجاً في أي عمل يعمله وأبنا كان
وكيفها كان

لم يخصص كالتاريخ الإسلامي ، وكذلك يابسون على من لا يعلم
تليسياً محكاً لأنه حشد وجمع ، وتفرير بالجمع والاستقصاء الذي
يزعمون . وسنتناول ذلك بعد قليل بعرض بعض الآراء التي ترجمها
لنا الأستاذ بدوي في كتابه لتحقيق كل ذلك إلى نهايته ، حرصاً
على أن نحصر الفساد في أضيق محيط

العقار

وأنا لا أحب أن أختم هذا الحديث بغير مثل أيضاً . فهذا
الأستاذ « العقاد » ، وكلنا يعلم أنه قلما كان يتناول الأغراض
الإسلامية بالتحرير والبحث ، ولكنه منذ الممدد الهجري للرسالة
كتب مقالة عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم المسكوبة ،
ثم عن عبقرية السياسية ، فاستوفى القول في ذلك وأشبهه ،
ورد كثيراً من التشبه التي كان يلبس بها الأعاجم على الأغرار

— ليت عندنا مهرجين مثله

— وهل عندنا غيرهم . . . ولكن الذين عندنا

لا يحترفون التهريج ويدعون الوقار ويصطنعون الجسد
والتعالى عن سفاست الأمور

— مثل من ؟

— وعينا من هذا ، فأهلنا هنا في مصر يجمعهم الحق . عودي

بنا إلى موديس شفالبيه واذا كرى له حسنة أخرى إلى ما ذكرنا له
من حسنة التهريج للمصريح

— خفة روحه

— إنها مع تهريجه وفي خلاله ، بل إنه منها وبها . ونحن

نريد له حسنة أخرى لا صلة لها بالتهريج . . .

— مثل ماذا ؟

— مثل لكنته هذه . أليست تدل على شيء طيب في نفسه ؟

أليست تشهد بأن موديس شفالبيه قوى الشخصية ، ومن قوى
شخصيته هذه القوة للفرنسية التي لم تحذلها رغبته في الرخ
وطعمه في الدولار الأمريكي الرنة الإنجليزية اللفة . . . إنى أرى
في شفالبيه هذه الحسنة

— ولكنى أرى هذه سيئة لا حسنة . فالمثل هو الطبع
للنفس الذي يستطيع أن يتشكل بسهولة لا الجامد للنفس الذي
يستعصى عليه التلون

من شبابنا : وليس يستطيع مستشرق أن ينفذ في فهم التاريخ
العربي ، والاجتماع الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، كما يستطيع
كاتب قارىء مطلع كالأستاذ المقاد . ثم هو فوق ذلك أديب
عربي يستطيع أن يجعل فطرته العربية الأدبية عوناً له على التغافل
في أمرار تاريخية مظلومة ، لا بطيعة المستشرق لفقدانه مثل
هذه الفطرة ؛ ثم لأن البيئة العلمية والاجتماعية التي نشأ فيها وتنقف
على أساسها لا تطاوعه أو تلين معه ، حتى يكون في نظره إلى التاريخ
العربي أو للفلسفة الإسلامية ، خراجاً ولاجاً على طبيعة العرب
وطريقهم في تداول معاني حياتهم ، وحياة أفكارهم وفلسفتهم .
ونحن نرجو ألا يخلى الأستاذ المقاد مباحثه من هذا النوع
الجديد من الفكر في تاريخ تنقذ عليه كل يوم جهالات كثيرة
مفسدة ليس لها أصل ولا بها قوة

محمد محمد مكار

أن يتكلم لأنه لا يجرى ج، وإن كان يضحك الناس على أنفسهم، ولأنه يريد أن يحسه الناس جميعاً مجرداً من كل بليلة مما فرق البشرية وشعبها، وقد كان شارلي يستطيع أن يمثل بالإنجليزية وهو مولود عليها، ولكنه يشعر بالحق فيما بينه وبين نفسه أنها لغة طارئة على تكوينه غريبة على نفسه ذات المعيزات للعبرة الشرقية التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وهذا الشعور مع رغبته في الشيوع مع النفوس المختلفة هما اللذان يلزمانه التمثيل الصامت وإلا فقد كان يمثل بالإنجليزية وهي لغة جمهور السينا

— أو بالعبرية وهي لغته

— ولكن أهلها قليلون جداً وحرام أن يخصهم شارلي وحدهم بفنه مثلما خص إميل جاننجر أهله الألمان وحدهم بفنه بينما كان الواجب الإنساني عليه أن يظل في أمريكا يمثل صامتاً مثلما يفعل شارلي، وقد كان يفتيح كل النجاح ويوفق كل التوفيق فهو في الممثلين آية. أذكر أني رأيته مرة في فيلم يبكي بضلع ظهره بكاء أبكائي وأبكي كثيرين مني، وليس كل ممثل بقادر على هذا

— فما الذي منته؟

— لست أدري، وإن كنت أظن أن إميل لو كان صاحب ثروة مدخرة لبقى في أمريكا وفعل الذي يفعله شارلي ولما اضطره الفقر إلى أن يقف موقف الاختيار بين ما يريده الأمريكيان من التمثيل الناطق، وما يريده الألمان من النطق بالألمانية وحدها — إذن فلو كان إميل غنياً لكان قد تخلص من ألمانيته، فالألمانية إذن ليست متغلغلة فيه كما تدعى، وما دام الأمر كذلك فقد كان يمكنه أن يظل في أمريكا وأن يمثل بالإنجليزية

— لا. إن الألمانية متغلغلة فيه، فلا أحد ينكر أن الألمان من الشعوب الذين يمتزجون بأنفسهم، بل الذين يصل بهم اعتزازهم بأنفسهم إلى أن يصبح صلفاً وتكبراً مذمومين، وكل الذي كان يستطيعه إميل مع هذه الألمانية المتمكنة فيه من ألوان الكفاح هو سترها بالصمت، ولكنه لم يكن ليقوى على أن يسترها إذا نطق فأى لسان نطق ظهرت ألمانيته، وظهر فيها صلفه وكبرياؤه وغروره، والصلف والكبرياء والغرور من الصفات التي يراها البشر عامة شذوذاً وانحرافاً عن الفطرة الإنسانية السهلة السمحاء وليس يقبل فريق من الناس أن يكون الإنسان ذا صلف وكبرياء

— هذا حق. وإنى أعتقد أن موريس شغالييه إذا مثل شخصية إنجليزية معينة فإنه سيكون في تمثيله هذا أقرب إلى سلامة «انتجنز» منه وهو يمثل شخصيات غير محدودة لا ينطاق الإنجليزية بلسانها بضرورة فنية، وإنما لضرورة تجارية ألزمتها إياها شركات السينما الأمريكية... ولو لم تكن الأدوار التي يخرجها موريس شغالييه كلها تهريج ومرح ومجون وفكاهة لا تجب معها المواخذه على سلامة كيانهما للفن لفشل موريس شغالييه ولعاد إلى التمثيل بلغته الفرنسية كما عاد إميل جاننجر إلى التمثيل بلغته الألمانية على ما تكبد في ذلك من خسارة مادية هائلة، إذ كانت أمريكا تعتبره ممثل الدنيا الأول

— أو إلى هذا الحد يصعب على الإنسان أن يمثل بلغة غير لغته؟

— إذا كانت لغته متغلغلة في نفسه قابضة على زمام روحه

— وكيف يكون هذا وكيف لا يكون؟

— اللغة هي لسان فريق من الناس يقال لهم شعب، لأنهم تشعبوا من أصل البشرية إلى اتجاه إنساني خاص يستدعي سلوكه مميزات نفسية خاصة. وهذه المميزات يظهر بعضها في التفكير، ويظهر بعضها في الذوق، ويظهر بعضها في الأفعال والحركات، ويظهر بعضها في اللغة وفي طريقة إلقاء هذه اللغة. وكلما تأصلت هذه المميزات في نفوس للشعب وضحت آثارها في المظاهر التي ذكرناها، وليس هذا الموضوع إلا دليلاً على تمكن هذه المظاهر من تلك للنفوس، وشدة ارتباطها بها، فإذا أكرم شعب من الشعوب أفراداً تأصلت في أفرادهم مظاهره حتى لتكون هي الطابع الذي يطبعهم، وإنهم لينتمون هذا مدفوعين إليه بالذات يشعرون به من الاعتزاز بانتسابهم إلى أنفسهم، وهم لا يشعرون بهذا إلا إذا كانوا على خير، وإذا كانوا بهذا الخير راضين. وليس هناك شك في أن موريس شغالييه يمتاز بانتسابه إلى فرنسا، كما أنه ليس هناك شك في أن إميل جاننجر يمتاز بانتسابه إلى ألمانيا، كما أنه ليس هناك شك في أن شارلي شابلي يمتاز بانتسابه إلى العبرية، أما موريس فإنه رأى الناس لا يطلبون منه إلا أن يضحكهم وأن يمازحهم، فلم يعبأ بأى لسان يتحدث إليهم ويفتنهم، فهو ينطق أحياناً بالفرنسية وأحياناً بالإنجليزية، ولو كف له استدبر مصر حاجته من المال لثل بالمرية ولم يجد مانعاً من ذلك ما دام غرضه وغرض الناس منه هو اللعب، وأما شارلي شابلي فإنه يمثل من غير

ممثلين مسلمين وملحنين مسلمين وممثلين مسلمين ، فنندت فقط
نسمع للصوت المسلم ...

— وهذه الأصوات التي تسمعا؟ ألا يشبهك منها ولا صوت
جورج أبيض؟ ...

— فيه رنة لذينة كرنه الذهب ، ولكن فيه أيضاً عجة
غريبة تشربها في فرنسا حيث تعلم التمثيل ، وإنه في هذا يشبه
الدكتور طه حسين بك في إلقائه ، فهو ينطق الحروف العربية
سالة مسلّمة نفية مجودة ، ولكنه إلى هذا يمجج صوته في إلقائه
تمويجاً فرنسياً فيه التلطف ، وفيه القصد إلى التأثير ، وفيه التأنيق
في الاسترسال والتأنيق في الوقف ، وهذا شأن مستشرق فرنسي
تلم العربية فأجادها ، وليس شأن عربي يتكلم . والدكتور طه
معدور في هذا فقد تلم في مصر ولكنه ترى في فرنسا وقد اختار
أن يتفرنس ثم يستشرق لأنه رأي المستشرقين الفرنسيين أرق
علماً وأخصب حالاً من المصريين ومن العرب ، وأنا مؤمن بأن
الدكتور طه لو كان قد احتك بمثل إنسانى حتى أعلى منه وعجب
لديه من المسلمين أو المصريين أو العرب لكان قد مكن لغة العربية
من نفسه على مثال تمكنها من نفس ذلك المثل الذي لم يره فلم يجد
بدأ من أن يبحث عنه بين المستشرقين ، كما تلم الأستاذ جورج
أبيض التمثيل على يد أستاذ فرنسي فطوّع له نفسه حتى تترجم
إلى نفس فرنسية تلقى العربية رنة فرنسية هي صدى لأسلوب
الإحساس للفرنسي الذي دربه عليه أستاذه ...

— وهل للإحساس أساليب؟

— من غير شك. تصيب المسلم المصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه
راجعون، وقيل على الحياة مجاهداً وهو يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا ، والمؤمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وتصيب
الكافر المصيبة فيهل لها ويتخبط من جزعه في أرجائها فلا يخرج
منها - إن خرج - إلا منهوكاً زاده الحنة كفراً وبعداً عن الله
واستئلاقاً على نفسه، له أسلوبه في الحس والمسلم أسلوبه، وأسلوب
الكافر ظاهر في لهجته وكلامه، فهو مضطرب حائر يلفظ الكلمة
يكاد يخفيها أو يأكلها خشية أن تفضح ما في نفسه، فإذا أنفصح
أنفصح اضطرابه وهله وجزعه، وأسلوب المسلم ظاهر في لهجته
وكلامه، فهو مطمئن هادي مستبشر واثق من رحمة ربه ... ولكل
شعب من الشعوب أسلوب في الحس ويختار من الإحساس يحبه

وغرور إلا الألمان ، لأنهم كلهم هكذا أصحاب صلف وكبرياء
وغرور، فجتمعهم مملوء بهذه الصفات حتى إنهم لم يعودوا يرون
فيها غرابة ولا شذوذاً ولا عيباً ، وقد يقبل الناس من غير الألمان
أن يروا إميل جاننجز في دور تمثيلي فيه صلف وغرور وكبرياء ،
ولكنهم لن يقبلوه في هذا الدور بهذه الصفات إلا إذا كانت هذه
الصفات مما يستدعيه الدور ، كأن يكون دور قائد من المحاربين
المغامرين المقتولين ، أو حاكم من الحكام المستبدن المفرورين ،
أما إذا لم يستدع هذا الدور هذه الصفات وظهرت هذه الصفات
في لحظة إميل جاننجز وإلقائه للإنجليزية أو الفرنسية فإن الناس
سيضحكون عليه من غير شك لأنها صفات غريبة على الدور
خارجة عن طبيعته ... أولاً تضحكين أنت من التكبر المفرور
إذا لم يكن له جاه يبرر - ولو للمرف - كبرياءه وغروره ؟ ...

لهذا عجز إميل جاننجز عن التمثيل بالإنجليزية

— وهؤلاء الممثلون جميعاً الذين يمثلون في هوليوود باللغة
الإنجليزية وهم من شعوب مختلفة ولهم ألسنة مختلفة ، ألا يراعون
هذا الذي يراعيه إميل جاننجز وشارلي شابلين وموريس شفالبيه ؟
— أما شفالبيه ، فهو لا يراعي شيئاً كما قلت لك ، واللذان
يراعيان هما شارلي شابلين وإميل جاننجز ، فهما من عشاق الكمال
الفني ، وقد تركزت في كل منهما خصائص قومه ، فهو في فنه
يمثل شعبة في حياته ، فهذا شارلي ضاقت العبرية به ، فصمت
وانتشر بصمته في الأرض ، كما ضاقت الأرض المقدسة عن بني
إسرائيل ، فصمتوا عنها وانتشروا في الأرض ، وهذا إميل جاننجز
ضاقت به الألمانية ، فتشبث بها وأحصر في حدود بلاده يجتر
كبرياءه وصفاته وغروره كما ضاقت ألمانيا نفسها بأبنائها فلم يصمتوا
عن صلفهم وكبريائهم وغرورهم ، وإنما أحصروا في أرضهم
بأكلون صراخاً وزعيقاً وصخباً وجلبة . ولو كانوا على شيء من
الحكمة ، لزلوا عن شيء من صفاتهم هذه ، ولكانوا كالإنجليز
معتدين بأنفسهم ولا غرور ، أو كانوا كالمسلمين معتمدين على الله
ساعين في أرضه الواسعة بالحق والسلام والصبر في البأساء وبوم
البأس ... كم أريد أن أسمع صوتاً مسلماً : في حديث أو غناء
أو تريل أو تمثيل لحال أو موعظة تلقى ... ولكن أين نحن من
هذا ... إنه لن يكون إلا إذا أسلم كاتب من الكتاب ، فاهتدى
إلى موضوع مسلم ، فكتبه ، فهد به إلى خرج مسلم ، فسلمه إلى